



ملف خاص

موقفنا مما جرى في لبنان

• بقلم الشيخ أحمد بن حسن المعلم

وبكل دبابه دمرت أو طائرة أسقطت أو قتل أو جريح ، فرحون بذلك كله ومغتبطون به ، كما فرح قبلنا واغتبط رسول الله ﷺ بانتصار الروم الكتابيين على الفرس المشركين ، كما قرره القرآن في مطلع سورة الروم ، وبينه وفصله المفسرون في تفسير تلك الآيات واستشهدوا عليه بالأحاديث الصحيحة . ومنهجنا هو نفس منهج رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقد فرحوا بانتصار الروم ولكنهم لم يوالوا الروم ، ولم يمجدهم ، ولم يصححوا دينهم ولم يحولهم إلى رمز لمحاربة الشرك وأهله ، وإنما ظل الروم على مكانتهم ككفاراً كسائر الكفار ، يتبرأ المسلمون منهم ومن دينهم .

ونحن اليوم كذلك نفرح بما أصاب اليهود ، ولا نوالي حزب الله أو نخش الناس بالزعم أنهم (حزب الله) الممدوح في القرآن كما فعل بعض الكتاب والخطباء وغيرهم ممن تسيّرهم العاطفة ويراعون في خطابهم ما يرضي الناس ، ويجلب إعجابهم . وما وقفنا هذا الموقف إلا لأسباب ، منها ما يرجع إلى العقيدة والمنهج ، ومنها ما يرجع للسياسة الشرعية وفقه الواقع .

✦ رئيس مجلس علماء أهل السنة في حضرموت ، وعضو لجنة الحوار الفكري .

الإسلاميين المختلفين مع السلفيين ، قد ركبوا موجة لوم السلفيين ، ورموهم بنفس التهم الباطلة التي يتهمهم بها أعداء المسلمين . وهذا الذي يدور على الألسنة وتتداوله البحوث والمقالات الفكرية والإسلامية بما فيه من حق وباطل ، إنما يدل على أمر مهم هو أن السلفيين مع جهاد الأعداء ، بل إنهم أشهر الجماعات الداعمة له في كل ميدان يثبت أن الجهاد فيه لإعلاء كلمة الله .

وإذا كان هذا هو موقف السلفيين من الجهاد في الأصل ، فإن هذا الموقف لم ينخرم اليوم ، ولم يتحول إلى موالة لدولة اليهود أو دفاع عنها ، كما يحلو للبعض أن يطرح حينما أبدى السلفيون موقفهم من حزب الله وأصحابه ، لأن المجاهدين في فلسطين يعرفون جيداً موقف إخوانهم السلفيين منهم ، وليسوا بحاجة لأحد كي يعبر عنهم أو يشكو من تحول السلفيين إلى مدافعين عن دولة اليهود ونيابة عنهم .

هذا هو موقفنا من أصل الجهاد ، وأما موقفنا من الحرب التي دارت بين منظمة حزب الله اللبناني ودولة اليهود ، فإنه منسجم كل الانسجام مع الموقف الأول ، فنحن فرحون ومغتبطون بكل ما أصاب اليهود من نكايه ، وفرحون بكل صاروخ سقط داخل ما يسمى بدولة (إسرائيل) ،

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن موقف أهل السنة والجماعة وأتباع السلف الصالح من جهاد الأعداء موقف معلوم معطن واضح لدى الجميع ، يعرفه الموافقون والمخالفون ، كما يعرفه ويركز عليه الأعداء أنفسهم ، فإن أمريكا واليهود ، ومن قبلهم روسيا ، كلهم يصرحون بأن ما يلاقونه من جهاد ومقاومة ، أو ما يسمونه مغالطة وتشويهاً (إرهاباً وتطرفاً) إن من يقف وراءه هم الوهابيون ، أي (السلفيون) فينسبون كل قتال موجه نحوهم إلى السلفيين ؛ كون السلفيين فعلاً يقولون بالجهاد الشرعي ويؤيدونه ويعلمون موقفهم الصريح منه ، ولم يسقطوا فيما سقط فيه كثير من الفرق والجماعات التي حنت رأسها للتيار ، وغيّرت في مفهوم الجهاد لترضي المتكبرين في الأرض ، فأيقن الأعداء بصلاية موقف السلفيين ، وأرادوا أن يشوههم ، فنسبوا إليهم كل قتال وعنف مما هو مشروع أو غير مشروع ، مما يؤيدونه فعلاً ومما يعترضون عليه ويرونه من قتال الفتنة .

بل إن بعض الفئات والجماعات الإسلامية ، أو بعض الكتاب والباحثين من

• أولاً ما يرجع للعقيدة والمنهج :

أما ما يرجع للعقيدة والمنهج ، فهو اعتقادنا أن الرفضية فرقة ضالة غالية في ضلالها ، ولديها من العقائد الضالة والمنحرفة ما لا يجوز لمسلم أن يواليهم عليها بأي حال من الأحوال ، فكيف يجوز لمسلم أن يوالي من يزعم أن كتاب الله المحفوظ بحفظ الله ، المعصوم من التبدل والتحريف المعجزة الخالدة لرسولنا الكريم ، يزعم أنه محرّف وناقص؟! وكيف يحق لمسلم أن يوالي من يعادي صفوة هذه الأمة ويغضها ، بل يكفر صفوتها : الخلفاء الراشدين الثلاثة؟! وكيف يحق لمسلم أن يوالي من يتهم أم المؤمنين عائشة أحب النساء لرسول الله ﷺ وأقربهن إلى قلبه المبرأة من فوق سبع سموات ، يتهمها بالفاحشة فيكذب القرآن وينتهك عرض رسول الله ﷺ ويقذف الصديقة بنت الصديق بذلك البهتان العظيم ؟!

وهذه العقائد وأضعافها من العقائد الضالة لم تنته وتذهب إلى مزلة التاريخ ، وإنما هي قائمة ما زال يؤججها علماءهم ودعاتهم ، ويربون عليها صغارهم وأجيالهم المتتالية إلى اليوم ، ومنظمة حزب الله هي جزء من تلك الفرقة حاملة لجميع ما عند الروافض من اعتقادات ، وإن كان يسترها بالتقية لحاجته إلى ذلك ، بل لقد أعلنتها ولم يتوار بها في بعض المواقف ، وهذا زعيمه الحالي حسن نصر الله يقول عندما قيل إن فكر حزبه إيراني : «إن هذه مغالطة لأن الفكر في إيران هو الفكر الإسلامي الذي أخذته المسلمون إلى إيران ، وحتى هذا الفكر خاص بعلماء جبل عامل» ، ثم يضيف : «اللبنانيون هم الذين كان لهم التأثير الكبير في إيران على المستوى الحضاري والديني في القرون السابقة .. أين هو الاستبدال ؟» . قلت : إنه يشير إلى حقيقة تاريخية معروفة ، وهي أن الدولة الصفوية عندما قامت في إيران وسحقت أهل السنة وأحلت التشيع هناك مكان السنة ، استوردت لتثبيت

١- المصدر لهذه النقول موقع البينة على الإنترنت.
٢- انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٢ / ٢٩٣) .
٣- المصدر نفسه ج ١٤ ص ١٢ .
٤- انظر لتفصيل ذلك كتاب (حركة أمل وحرب المخيمات) ، لعبد الله محمد الغريب ، (ودور الشعبين الباطنيين في محنة لبنان) ، ل محمد سرور زين العابدين .

المذهب الشيعي علماء رافضة من جبل عامل في لبنان ، لغرس وترسيخ المبادئ الشيعية في إيران . ويزيد الأمر تأكيداً بقوله : «كما أن المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا»(١).

• ثانياً ما يرجع للسياسة الشرعية وفقه الواقع :

وأما ما يتعلق بالسياسة الشرعية وفقه الواقع ، فإن ذلك يقتضي النظر في التاريخ والاستفادة من دروسه وعبره قبل الحكم على الواقع المعاصر ، خصوصاً عندما تدل

بعض الضلّات والجماعات الإسلامية، أو بعض الكتاب والباحثين من الإسلاميين المختلطين مع السلفيين، قد ركبوا موجة لوم السلفيين، ورموهم بنقض التهم الباطنية التي يتهمهم بها أعداء المسلمين

الدلائل القاطعة أن المعاصرين مرتبطين بماضيهم .

وتاريخ الرفضية معلوم لكل مهتم بالتاريخ مطلع على مجرياته ، فإنهم بطاقتهم الرفضية الاثني عشرية والباطنية ، وهما اليوم متحدتان ما زالا الخنجر المسموم الذي يطعن في خاصرة المسلمين في كل محنة ومع كل عدو . وما فعل نصير الدين الطوسي الباطني وابن العلقمي الرفضى لا يخفى على من يعرف التاريخ ، وكيف تسببا في هدم الخلافة الإسلامية أيام التتار ، وكذلك ما فعله بقايا الفاطميين في مصر مع الصليبيين ، وكيف سلموا لهم بيت المقدس أو على الأقل تسببوا في ذلك .

بل لقد حاول الباطنية قتل صلاح الدين وشرعوا في اغتياله لولا أن الله سلم ، كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله(٢) ، وأولئك الباطنية الذين حاولوا اغتيال صلاح الدين من باطنية الشام ، وليسوا من إيران ولا من العراق . وهذا تقنيدي لشبهة أراد البعض أن يبثها ، وهي أن شيعة الشام ليسوا كشيعة العراق وإيران . ويؤكد ذلك ما ذكره ابن كثير في أعقاب معركة شقحب وما قام به نائب السلطنة من تأديب أهل جبال (الجرد

وكروران) وهم رافضة كما نص عليه في موضع آخر قال : «سبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا حين اجتازوا بلادهم ، وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم وقتلوا كثيراً منهم»(٣) .

فهذا شيء من تاريخهم القديم ، وأما تاريخهم الحديث فالكمل يعرفه ، يعرف موقفهم من قضية أفغانستان ، وكيف تعاونوا مع (قوات التحالف) على حكومة طالبان ، وما يفعلونه إلى اليوم من التصفية الجسدية لسنة العراق ، بعد أن تعاونوا مع قوات التحالف على إسقاط حكومة صدام واستلام مقاليد الأمور هناك ، فقد صرح الشيخ حارث الضاري رئيس هيئة علماء المسلمين بالعراق ، بأن من قُتل من أهل السنة في العراق عددهم مئتا ألف شخص ، منهم مئة ألف على يد المليشيات الشيعية ، وقد كان مقتدى الصدر ومليشياته المسماة بجيش المهدي ممن يحارب الأمريكان حتى كسب تعاطفاً شعبياً كبيراً من قبل العراقيين السنة فضلاً عن غيرهم ، ثم لم يلبث أن أدار ظهره وقلب مجنه ، وإذا به أشد المليشيات إمعاناً في قتل أهل السنة .

هذا فيما يخص الشيعة بشكل عام ، وأما حزب الله على وجه الخصوص ، فإن موقفه من أبناء المخيمات الفلسطينية في لبنان معروف منذ أن كان جزءاً من حركة أمل الشيعية .

ففي عام ١٤٠٥هـ أعلنت حركة أمل الشيعية قبل أن يفصل عنها حزب الله حرباً على سكان المخيمات الفلسطينية في بيروت ، واستخدموا في عدوانهم كافة الأسلحة ، واستمر عدوانهم شهراً كاملاً ، ولم يتوقفوا عمن رضع الفلسطينيون لكافة مطالبهم ، وقد خلفت تلك الحرب (٣,١٠٠) ما بين قتل وجرح في صفوف الفلسطينيين إضافة إلى (١٥,٠٠٠) من المهجرين(٤).

هذا ما يتعلق بموقف شيعة لبنان من الفلسطينيين وهو موقف حزب الله كما هو موقف حركة أمل ، يقول حسن نصر الله : «إننا حريصون على علاقة طيبة مع حركة أمل ... إلى أن يقول : إن الموضوعات التي

نتفق عليها نتعاون معاً ، وما تختلف عليه لا يؤدي الخلاف من وجهة النظر إلى نزاع حتى الخلافات في تنظيمها ... والطابع العام لعلاقتنا الإيجابية والتنسيق والتعاون» .

وأما ما يتعلق بعلاقة حزب الله بإسرائيل فإنها علاقة مريبة ، وقد تحدث المحللون السياسيون عنها كثيراً ، وقد رصدت تصريحات من قادة الجانبين تشعر بأن العلاقة بينهما ليست علاقة العدا الراسخ والدائم ، وإنما هناك عدا قد يتحول إلى صداقة إذا دعت المصالح إلى ذلك ، وأن منظمة حزب الله لا تسعى إلى تحرير فلسطين ولا تحرير المسجد الأقصى من قبضة اليهود ، وإنما كل ما يعتزم القيام به هو إخراج إسرائيل من جنوب لبنان ، والقيام بين فينة وأخرى بعمليات تلفت الأنظار إليه ، وترفع رصيده من الإعجاب والاحترام لدى العرب والمسلمين ، يستطيع من خلال ذلك أن ينفذ ما أوكل إليه من مشروع إيراني رافضي يهدف إلى السيطرة السياسية والدينية في المنطقة ، وتصدير الثورة الخمينية والعقيدة الرافضية . وهذه الاستنتاجات سوف يتحصل عليها من يريدنا من مصادر كثيرة من الصحافة العادية والإلكترونية ، فليبحث عنها هناك .

هذا ولنا - نحن اليمنيين - حساباتنا الخاصة مع منظمة حزب الله ، فإنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك وقوف ذلك الحزب وراء فتنة التمرد التي قادها المتمرد الصريع حسين بدر الدين الحوثي ، والتي لا تزال آثارها ماثلة للعيان ، وما زالت تؤذن بالانفجار مرة أخرى في أي لحظة . وما أخال هذه الضجة الدعائية لمنظمة حزب الله وزعيمه حسن نصر الله إلا من تدبير الحوثيين الظاهرين أو المستترين ليكسبوا بذلك تعاطف الشعب ، ويمتصوا ما في نفوسهم من الغضب على المتمردين ، وليسهل عليهم بعد ذلك الدعوة للرفض في أوساط اليمنيين .

خلاصة الموقف من تلك الأحداث

بناء على ما تقدم من منطلقات شرعية وسياسية وواقعية ، يأتي موقفنا من تلك الأحداث على النحو التالي :

١- إن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، وهم كذلك منذ كانوا وإلى الأبد ،

إن فرحنا بما فعله حزب الله لا يستلزم ولاءنا لهم ولا إعجابنا به ، ولا تهويننا من ضلاله وانحرافه ، بل وعداوته التي قامت الشواهد عليها بما فعل بال فلسطينيين بالأمس وما يتوقع أن يفعله بأهل السنة في لبنان اليوم وغداً ، ولا بد أن يكشف لأمتنا جميعها ، بجميع شرائحها عن الحقيقة وتُعرف بهوية (حزب الله) ومذهبه وعقيدته وسياسته تجاهها

الأعداء للثكاة فيهم بالانتحاريين ، وبناء على ذلك يعامل أولئك المجاهدين معاملة المجرمين - نجد أن ذلك الإعلام يصف مليشيات حزب الله بالمجاهدين والأبطال وقاهري العدو ... إلخ ، وهذا التناقض يفقد ذلك الإعلام مصداقيته ، ويضل الشعوب التي تتأثر به ، وقد يصل ذلك التصرف إلى حد الخيانة لتلك الجماهير والغش لها .

٥- إننا نفرح بما صدر من قتال ضد إسرائيل وما تكبدته من خسائر ، وهذه ضربة في ساس صرحها القائم على التهويل والمبالغة وتعرية للمزاعم الكاذبة لليهود بأن جيشهم الجيش الذي لا يهزم . وبدل أن نبقي كالأيتام القصر ، الذين لا ينصرفون إلا بواسطة أوليائهم وعقلائهم ، علينا أن نستفيد من ذلك ، ونتحرك الحركة الصادقة والجادة للانقضاض على ذلك الكيان الهزيل بكل ما أوتينا من قوة . فإذا كانت مليشيات محدودة في عددها وعدتها وسننها قد فعلت بالجيش اليهودي ما فعلت ، فكيف إذا انقضت عليه الأمة بكاملها بجيوشها وأموالها وكياناتها السياسية الكبيرة ، لا شك أن إمكانية القضاء على تلك النبتة الخبيثة واقتلاعها ممكن مع ما وعد الله به عباده المؤمنين الصادقين من النصر والتمكين .

٦- إن فرحنا بما فعله حزب الله لا يستلزم ولاءنا لهم ولا إعجابنا به ، ولا تهويننا من ضلاله وانحرافه ، بل وعداوته التي قامت الشواهد عليها بما فعله بالفلسطينيين بالأمس وما يتوقع أن يفعله بأهل السنة في لبنان اليوم وغداً ، ولا بد أن يكشف لأمتنا جميعها ، بجميع شرائحها عن الحقيقة وتُعرف بهوية (حزب الله) ومذهبه وعقيدته وسياسته تجاهها .

هذه خلاصة موقفنا من ذلك الحزب وحره ضد اليهود .

ونحن نبادلهم عداوة بعداوة ، ولا يمكن أن تتحول عداوتهم لنا أو عداوتنا لهم إلى صداقة حتى يشيب الغراب ، والنصاري المتعصبون المنتصهون هم كاليهود في العداوة ، وليسوا ممن قال الله فيهم : ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ إذ ليس هؤلاء هم النصاري المعنيين بتلك الآية .

٢- إنه لن يرفع الضيم والظلم والعدوان عنا ، ولن يعيد لنا حقنا ومكانتنا غير الجهاد في سبيل الله ، الجهاد الشرعي المنضبط بضوابط الشرع في أهدافه ومبادئه ومسائله ، وهذا الجهاد ليس ضد اليهود فحسب ، بل ضد كل عدو غاصب لأرضنا معتد علينا ، أياً كان اسمه أو شعاره أو ديانتة ، وعلى رأس الجميع أمريكا وإسرائيل ؛ لأنهما أبرز الأعداء ولأنهما أوسع الأعداء عدواناً وأشدهم ظملاً للمسلمين . وعلى المسلمين جميعاً - حكاماً ومحكومين - الإعداد الشامل لذلك الجهاد كل بحسبه ، حتى يأذن الله لنا في مناجزة أولئك الأعداء ، وحتى يفتح الله بيننا وبينهم وينصرنا عليهم .

٣- إن على أهل السنة أن يتبنوا قضاياهم ويجاهدوا في سبيلها بأنفسهم ، ولا يوكلوا ذلك لأحد ، فإن كل طائفة إنما تخدم قضاياها وتعمل على تحقيق مصالحها ، وإن الشعوب السنية سوف تتجه إلى الرفض ، فلتبعضهم على ضلالهم وتقبل بتسلطهم إن بقي الحال على ما هو عليه من استغلال رافضي لعواطف الجماهير ، وغياب للمواقف المشرفة لدى أهل السنة .

٤- من الخطأ الفادح عند الإعلام العربي الموجّه من الأنظمة السياسية ، أنه يكيل بمكيايين ، فبينما يعرف المجاهدين في أفغانستان والعراق بالإرهابيين ، ومن يقدمون على تفجير أنفسهم في صفوف